قصص أعلام المسلمين

القصة الثانية

أبو بكر الصِّدّيق

فايد العمروسي

اهداءات ٢٠٠١

لواء طبيب/ عبد الحميد سلطان

الإسكندرية

قصص أعلام المسلمين

القصة الثانية

أبو بكر الصدّيق

فايد العمروسي

ملتزم الطبع والنشر
مكتبة الأنجلو المصرية
١٦٥ شارع محمد فريد - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــدمة

هَذِهِ سِلْسِلَةٌ لِأَعْلامِ الْمُسْلِمِينَ بَدَأْتُها بِنَبِيِّ الإِسْلام مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ .

وَقَدْ قَصَدْتُ مِنْ كِتابَةِ هَذِهِ السِّلْسِلَةِ التَّعْرِيفَ بِكُلِّ عَلَمٍ ، تَعْرِيفاً مُبَسَّطاً فى أُسْلوبٍ قَصَصِيٍّ سَهْلٍ ، يُتِيحُ للنَّاشِئَةِ والْـكِبارِ مَعاً أَنْ يَقِفُوا عَلَى حياةِ كُلٍّ مِنْهُمْ ، وعَلَى أَثَرِه فى الإِسْلام ، وَمَكانَتِه بيْنَ الْمُسْلِمِين .

كَمَا راعَيْتُ فى كلِّ قِصَّةٍ صِحَّةَ الأَحْداثِ التَّارِيخِيَّةِ وَمَا تَهْدِفُ إِلَيْهِ مِنْ حَمِيدِ الفَضَائل .

وبِقَدْرِ مَا بَذَلْتُ مِنْ جَهْدٍ : أَسْأَلُ اللهَ التَّوْفيقَ .

فايد العمروسي

ابوُ بكرٍ الصدّيقُ

— ١ —

كانَ أَبوُ بَكْرٍ فى الْجَاهِلِيَّةِ صَبِيًّا عَجِيباً ، عَجِيباً فى خُلقْهِ. وفِى طِباعِهِ ، وفِى تَفكِيرِه ، فلَمْ يكُنْ جاهِلِيًّا كأَبِيهِ « أَبوُ قُحَافَةَ » أَوْ كأُمِّه سَلْمَى بِنْتِ صَخْر !!

كانَ فِى نَفْسِهِ صفَاءٌ ، وفِى قَلْبِه نُورُ الْإِيمانِ ، وفِى عقلِهِ تفْكِيرُ التَّوْحِيدِ .

يَقوُلُ أَبوُ بكرٍ عَنْ نَفْسِه :

ما سَجَدْتُ لِصَنَمٍ قطّ !! لقَدْ أَخَذَنِى أَبِى وأَنا غُلامٌ وانْطَلقَ بِى إلى مَكانٍ فيهِ الْأَصْنامُ وقَالَ لِى :

هَذِهِ آلِهَتُك وتَرَكَنِى وانْصَرَفَ . . فَدَنَوْتُ مِنْ أَحَدِ الْأَصْنَامِ وقُلْتُ لَهُ :

إِنِّى جَائِعٌ فأَطْعِمْنِى فلَمْ يُجِبْنِى !!

فقُلْتُ : إِنِّى عَارٍ فاكْسُنِى فلَمْ يُجِبْنِى !!

فأَلْقَيْتُ عليْهِ حَجَراً لَطمَهُ فِى وجْهه . . !

* * *

صَحِبَ أَبُو قُحَافَةَ ولَدَهُ أَبَا بَكْرٍ إِلى الْأَصْنَامِ الَّتى حَوْلَ الْكَعْبَةِ ، فوَجَدَ النَّاسَ يَرْكَعُونَ ويَسْجُدُونَ أَمامَ صَنَمٍ كبيرٍ ، فرَكَعَ أَبُو قحافَة أَمامَ الصَّنَمِ . . وهُنَا سَأَلَ أَبُو بَكْر أَباهُ :

مَا هذَا الصَّنَمُ يَا أَبِى ؟

قالَ أَبُوهُ : إِنَّهُ « هُبَلُ » كَبِيرُ الْآلِهَةِ !! هَيَّا

يا ولَدِى فعَظِّمْهُ واسجُدْ لهُ كمَا تفعَلُ قُريشٌ !

قالَ أَبُو بكْرٍ : أَهذَا إِلَهٌ يا أَبى ؟؟

قالَ أبُوهُ : نعَمْ . . إِنَّهُ كَبيرُ الآلِهةِ .! اُسجُدْ . . اُسجُدْ لهُ يا ولَدِى ! !

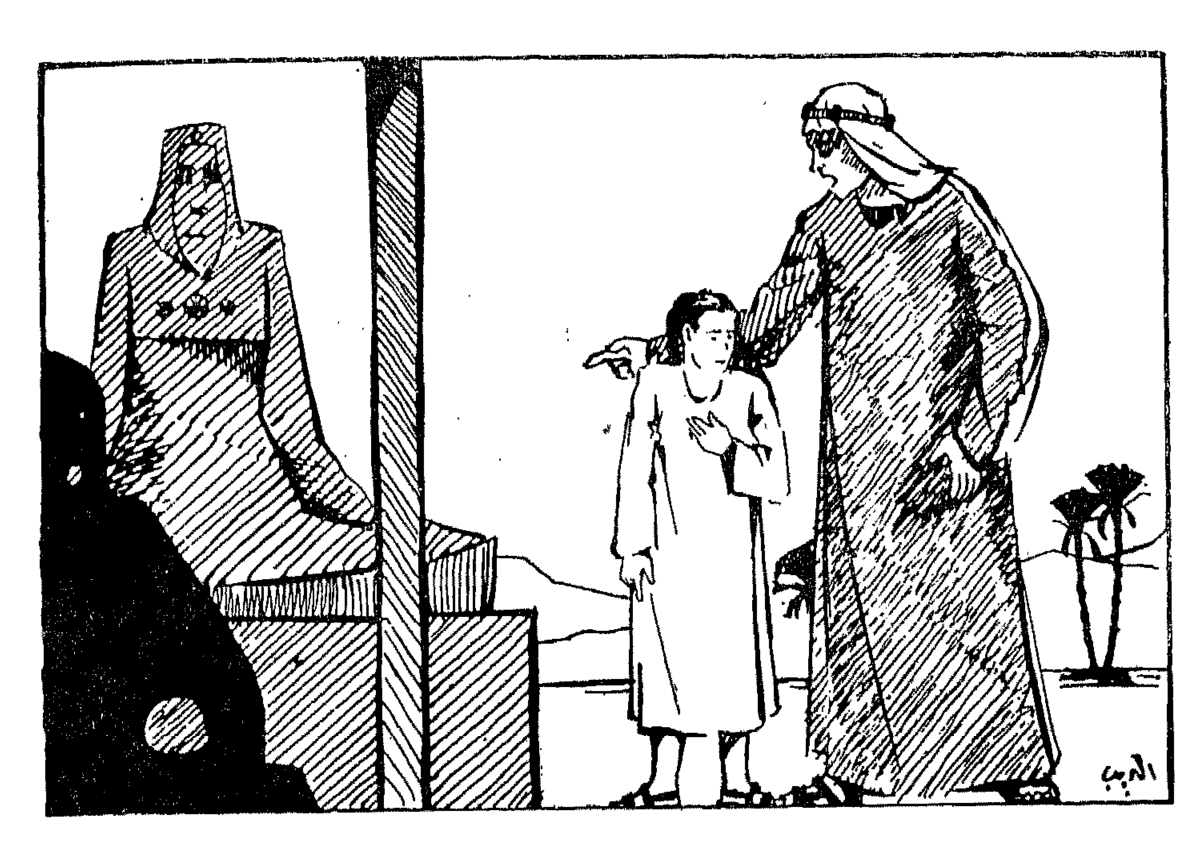
فَضَحِك الغُلام أبُو بكْرٍ وقالَ :

يَا أَبِى هذَا حَجَرٌ لا يضُرُّ ولا ينْفَعُ . . فكَيْفَ تَعبُدُون الأَحْجارَ . .

فغَضِبَ أبُو قُحَافةَ وقالَ لِولَدِه :

اُسْكُتْ أيُّها الجاهِلُ العَاصِى وإلاَّ غَضِبَ علَيْك كَبيرُ الآلِهةِ وأَهْلَكَك ! !

وهُنا ضَحِك أبُو بكْرٍ سَاخِرًا منْ هذَا الكلامِ ، فغَضِبَ أبُوهُ ولطَمَهُ عَلَى وجْهِه وسَحَبهُ وانْصَرَف . .



واللهِ مَا سَجَدْتُ لِصَنَمٍ قَطْ !!

وفِي طَرِيقِهِما مرَّا عَلَى دارِ ابْنِ جُدْعانَ عمِّ أبِي بكْرٍ ، فدَعاهُما إلى الدُّخُولِ فدَخلا .. وطلَبَ أبُو قُحافَةَ شيْئًا مِنَ الشَّرابِ ، فلمَّا جاءَ الخَدَمُ بالشَّرابِ ، أمْسَكَ أبُو قُحافَةَ بالْكأْسِ ورَفَعَها إلى فَمِهِ ، فلَطَمَها أبُو بكْرٍ بِكفِّهِ فأَراقَها عَلَى الْأَرْضِ .!! وهَمَّ أبُوهُ بضَرْبِهِ فمنَعَهُ ابْنُ جُدْعانَ . . وتعَجَّبَ منْ فِعْلِ الغُلامِ وجُرْأتِهِ النَّادِرةِ وسأَلَ :

ماذَا جرَى بيْنَكَ وبيْنَ ولَدِكَ يا أَبا قُحافَةَ ؟

فحَكى أبُو قُحافَةَ ما قالَهُ ولدُه فِي حقِّ الصَّنمِ ربِّ قُريْشٍ !

— ٢ —

كانَ ابْنُ جُدْعانَ رَجُلاً رَزِيناً ذَكِيًّا ، وكانَ صافِيَ

الحِسِّ حُرَّ التَّفْكيرِ . . فلمَّا سمِعَ ما جَرَى ، ابْتَسَمَ وَنظرَ إلى الغُلامِ أبِي بكْرٍ نظْرَةً فِيها عطْفٌ واحْتِرامٌ ، ثُمَّ تقَدَّمَ إِليْهِ فى هُدُوءٍ وقَالَ لهُ :

يا أبَا بكْرٍ : لِماذا قُلْتَ هذَا الْكَلامَ فى « هُبلَ » رَبِّ قُريْشٍ ؟ ألا تعتَقِدُ أنَّهُ كَبيرُ الآلهةِ ؟

قالَ أَبوُ بكْرٍ : لا أَعْتقِدُ أُبداً أَنَّ الآلِهةَ تكُونُ أَحْجَارًا لا تحُسُّ !!

وابْتَسَمَ ابْنُ جُدْعانَ وأَطْرَقَ قليلاً بِرأْسه إلى الأَرْضِ كأنَّهُ مُقتنِعٌ بكَلامِ أَبى بكْرٍ !! ثُمَّ رفعَ رأْسَه إلى أَبِي بَكْرٍ وقالَ لهُ :

ولِماذَا سكَبْتَ الخَمْرَ منْ يَدِ أَبيكَ ؟

قالَ أَبوُ بكْرٍ : لأَنَّ أَبِي حِينَ يَشْرَبُ الخَمْرَ يفقِدُ

وَعْيَهُ ، ويأْتِي بأَعْمَالٍ غَيْرِ لائِقةٍ ، ويَرْقُصُ في الطَّرِيقِ وَيَصِيحُ كالمَجْنُونِ ! !

وهُنا قالَ ابْنُ جُدْعانَ :

يَا أَبا بكْرٍ صدَقْتَ !! فقَدْ كُنْتُ أشْرَبُ الخَمْرَ حتَّى أفْقِدَ عقْلِي.. ثُمَّ أتخَيَّلُ أنى أطِيرُ في الجَوِّ كالطُّيُور، وأرْقُصُ وأتخَبَّطُ في مِشْيَتِي فيَجْرِي الأَطْفالُ ورائى وهُمْ يَضْحَكُون ويسْخَرُون منِّى .. ! لِهذا أقْلَعْتُ عنْ شُرْبِ الخَمْرِ، ولَمْ أذُقْها حتَّى الآنَ .. !!

ثُمَّ نظَرَ ابْنُ جُدْعانَ إلى أبِي قُحَافَةَ وقالَ لهُ :

إنِّى أتمَنَّى أنْ أكُونَ فقيراً مِثْلَكَ ، وأنْ يكُونَ لِي ولَدٌ كَوَلَدِكَ !! إنَّ أبَا بكْرٍ سيَكُونُ لهُ شأْنٌ عظِيمٌ !!

كانَ أبُو بكْرٍ في الجَاهِلِيَّةِ ـ قبْلَ إسْلامِهِ ـ شخْصِيَّةً

مُحْتَرمةً بيْنَ قوْمِه ، يثِقُون فيهِ كلَّ الثِّقةِ ، ويُقَدِّمُون لهُ المَالَ والْإِبِلَ أمَانةً عِنْدَهُ ، حتَّى إذا وَقعَتْ حادِثةٌ لِقرَيْشٍ استَلْزَمتْ غَرامةً دفعَهَا هُوَ بالنِّيابَةِ عنْهُمْ ، وكانَتْ قُرَيْشٍ تُصَدِّقُهُ وتأْمَنُه فى كلِّ مَا يفْعَلُ ، لأَنَّهُ كانَ معْرُوفاً لدَيْهِمْ بالْأَمانةِ والعِفَّةِ ، وطِيبِ الخُلُقِ وشَرَفِ المُعامَلةِ !!

* * *

وكانَ أبوُ بكْرٍ تاجِراً ناجِحًا ، كانَ يُسَافِرُ مع قوافِلِ التِّجَارةِ الذَّاهِبةِ إلى الشَّامِ واليَمنِ فيَبيعُ ويَشْتَرى ، وَقدْ كَسِبَ أَمْوَالاً كَثيرةً حتَّى أصْبَحَ مِنْ أغْنَى أغْنِياءِ قُرَيْشٍ فى الجَاهِلِيَّة . وكانَ مَحْبُوباً بيْنَ زُملَائِه أصْحَابِ القَوافِلِ التِّجَارِيَّةِ ، ذَلِك أنَّ صوْتَهُ كانَ جَميلاً ، وأنَّهُ

كانَ يُغَنِّى أَثناءَ السَّفرِ غِناءً يُطْرِبُ النُّفُوسَ ، ويستميلُ القلُوبَ إليْهِ ، لِذلِكَ كانَ مَحْبُوبًا مِنْ شَبابِ قُريْش ، الكُلُّ يتعرَّفُ إليْهِ ، ويَرْجُون صَداقتَهُ !

ولكِنَّ أَبا بكْرٍ اُخْتارَ صَدِيقًا واحِدًا مِنْ قُريْشٍ ، كانَ يفْدِيهِ بنفْسِه ومَالِه ، وَكانَ يُطْلِعُه عَلَى أَسْرارِه ، ويُحَدِّثُهُ عَنْ أَفْكارِه . .

وكانَ الصَّدِيقُ الْوَحِيدُ لأَبِي بكْرٍ شابا جَمِيلَ الْوَجْه ، يَشِعُّ الضِّياءُ مِنْ وَجْهِه ، والنُّورُ مِنْ عيْنَيْهِ ، لَطِيفَ الشَّكْلِ ، نَظِيفَ الملْبَسِ ، رائِعَ المَظْهرِ ، شَدِيدَ الحَياءِ ، كَثيرَ التَّواضُعِ ، كَبِيرَ العَقْلِ ، شَرِيفَ النَّفْسِ .

ذَلِكَ الصَّدِيقُ الْوَحِيدُ لأبِي بكْرٍ هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عبْدِ اللهِ ابْنِ عبْدِ المُطَّلبِ !

وكانَتْ الصِّفاتُ الفاضِلةُ الَّتى جَمعتْ بيْنَهُما هِىَ أنَّ كلا مِنْهُما كانَ بعيداً عنِ اللَّهْوِ والعَبَثِ ، لا يُخالِط أهْلَ المُجُونِ والفِسْقِ ، ولَمْ يشْرَبِ الخَمْرَ أَبداً ، وَلَمْ يرْكعْ لِصَنَمٍ منَ الأَصْنامِ ، ولَمْ يُشارِكْ قُريشًا ما كانُوا فيهِ منْ ضَلالٍ وفَسَادٍ ..!!

— ٣ —

احْتجَبَ مُحمَّدٌ عنِ النَّاسِ ، لأَنَّه كانَ يَتعبَّدُ فى جبَلِ حِراءٍ بجانبِ مكَّةَ ، وَظلَّ فى تعبُّدِه حتَّى نزَلَ عليْهِ الْوَحْىُ بدِينِ الإسْلامِ والرِّسالَةِ المُحَمَّديَّةِ الْكَريمةِ .

وَفى صباحِ يَوْمٍ الْتقَى مُحمَّدٌ بأَبِى بكْرٍ فى الْكَعْبةِ .. فَحكَى لهُ قِصَّةَ الْوَحْى ، وقالَ لهُ :

أَتُصَدِّقُنِى يا أَبَا بَكْرٍ ؟

قالَ أَبُو بَكْرٍ :

وَمَنْ أُصَدِّقُ يا مُحَمَّدُ وأَنْتَ أَصْدَقُ النَّاسِ ، وأَشْرَف مَنْ عَرَفْتُ ؟

قالَ مُحَمَّدُ : لَقَدْ بُعِثْتُ إِلى هَذِهِ الْأُمَّةِ لأُطَهِّرَها مِنَ الفَسَادِ ، وأَهْدِيَهَا إِلى طَرِيق الْهُدَى ، وأُبَصِّرَهُمْ بِعِبادَةِ اللهِ الْوَاحِدِ الْأَحدِ !!

وَفاضَ وجْهُ أَبُو بكْرٍ بالنُّورِ وَصَاحَ فى رِعْدَةِ وَفرَح : كَيْفَ ؟ قلْ لِى فِداكَ أَبِي وأُمِّى !!

قالَ النَّبِىُّ : هبَط عَلَىَّ جِبْرِيلُ وأَخْبَرَنِى أَنِّى نَبِىُّ هَذِهِ الْامَّةِ ورَسُولُها . . وأَنْزَلَ عَلَىَّ منْ القُرآنِ الكَرِيمِ :

« إِقْرَأْ باسْمِ رَبِّكَ الّذِى خلَقَ ، خلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ

عَلَقٍ ، اقْرَأْ وربُّكَ الأَكْرَمُ ، الّذِي علَّمَ بالقَلَمِ ، علَّمَ الإنْسَانَ مَا لَمْ يَعلَمْ » .

صاحَ أَبوُ بكْرٍ حِينَ سَمِعَ القُرآنَ الكَرِيمِ :

ما أَحْلَى هذَا الكَلامَ وَما أَعْظَمَهُ !! قُلْ لِي فِداكَ أَبِي وأُمِّي !! ماذَا أَصْنَعُ حتَّى أَكُونَ عَلَى دِينِكَ ؟

قَالَ مُحمَّدٌ صلعم : قُلْ « أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ ، وأَشْهَدُ أَنَّ مُحمَّداً رَسُولُ اللهِ » .

فنَطَقَ أَبوُ بكْرٍ « أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ الله ، وأَشْهَدُ أَنَّ مُحمَّداً رَسُولُ اللهِ » .

فقَالَ لهُ النَّبيُّ الكَرِيمُ : هَنِيئاً لَكَ يا أَبا بكْرٍ .. أَنْتَ المُسْلِمُ الأَوَّلُ .. وأَنْتَ الصِّدِّيقُ الأَمِينُ .

* * *

قالَ عَلِيُّ ابْنُ أَبِي طالبٍ :

بعْدَ وفاةِ أَبِي بِثلاثةِ أَيَّامٍ ، اجْتَمعتْ قُرَيْشٌ تُرِيدُ قتْلَ رَسُولِ اللهِ وذَهَبَ جَمَاعةٌ مِنْهُمْ إِلَيْهِ فى الْكَعْبَةِ فخَنَقُوهُ بِمَلابِسِهِ ..!

فَلَمَّا عَلِمَ أَبُو بَكْرٍ أَسْرَعَ إِلَى النَّبِيِّ فخَلَّصَهُ مِنْ أَيْدِيهِمْ ، فانْهالَتْ قُرَيْشٌ عَلَى أَبِي بكْرٍ ضَرْبًا حَتَّى قَطَعَتْ ضَفِيرةً مِنْ شَعْرِهِ « وكانَ لأَبِي بكْرٍ ضَفِيرتانِ مِنَ الشعْرِ » !!

وقالَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بكْرٍ :

الْتَفَّتْ قُرَيْشٌ حَوْلَ رَسُولِ اللهِ ، وأرادَتْ قَتْلَهُ ، فأَسْرَعَ إِلَيْهِ أَبِي وقالَ لَهُمْ « أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ » أىْ بِسَبَبِ أَنَّهُ يَقُولُ رَبِّيَ اللهَ !! فانْهالَتْ

قُريشٌ عَلَى أَبى ضرباً حتَّى قطعَتْ ضَفيرَةً منْ شَعْرِه !

وَهكَذا كَانَ أَبُو بكْرٍ !! كانَ يتلَقَّى الْأَذَى والْعذابَ والضَّرْبَ منْ قُريْشٍ بِسَببِ إِسْلامِه ، وبِسَببِ حِمايتِه للرَّسُولِ الْكَريمِ .

* * *

كانَ أَبُو بكْرٍ جالِسًا فى ناحِيةٍ منَ المَسْجِدِ الحَرامِ، يتْلُو الْقُرآنَ الْكَرِيمَ ، فَسمِعهُ رِجالٌ منْ قُريْش فقَالُوا :

هذَا ابْنُ أَبى قُحَافةَ يقْرأُ كلامَ مُحمَّدٍ الَّذى يدَّعِى أَنَّهُ نَزَلَ عليْهِ منَ السَّماءِ ..!!

وَقالَ أَحدهُمْ : سَوْفَ أَذهَبُ إِليْه لأَسْمَع ما يَقْرأُ .. وَمَشَى إِلى أَبى بكْرٍ فَجَلسَ غيْرَ بَعيدٍ منْهُ ، فَسمِعَه يتْلُو الْقُرآنَ الْكَرِيمَ بصَوْتٍ خاشِعٍ ، وقلْبٍ نابِضٍ بالْإِيمانِ ، وعُيُونٍ تَفيضُ بالدَّمْعِ ! فتأَثَّرَ الرَّجُل حِينَ

— ١٩ —

سَمِعَ الْقُرآنَ الْكَرِيمَ ، ونَبَضَ قلبُهُ ، وَفَاضَتْ جوارحُه حُبّاً وشَوْقاً ، وتأثّرَ تأثُّراً شديداً ، وتَسَاقَطَتِ الدُّمُوعُ من عَيْنَيْهِ ! ! ولمّا رَجعَ إلى قَوْمِهِ وعَيْناهُ دامِعَتانِ ، ونظراتُهُ خاشِعةٌ ، سألوهُ مَا بِهِ ؟ فقَالَ :

يا قَوْمُ ! ! لقَدْ سَمِعْتُ قُرآناً عَجَباً يَهْدِي إلى الرُّشْدِ ، ويُخْرِجُ النَّاسَ منَ الظُّلُماتِ إلى النُّور ، لِالفاظِه حَلاوَةٌ ما سمِعْناها أبداً فى كَلامِ الْعرَبِ ..! إنَّهُ لا شَكَّ كَلامُ رَبِّ الْعالَمين ..!

— ٤ —

حِينَ كانَ أَبُو بَكْرٍ يتْلُو الْقُرآنَ فى الْكَعْبَةِ .. كانَ كَثيرٌ منَ الشُّبّانِ والْغِلْمانِ يُنصِتُون إليْهِ ، ويَتأثَّرُون بِمَا يَقْرأُ ، ويَحفَظُونَهُ عنْ ظَهْرِ قلْبٍ !

دخَلَ غُلامٌ منْ قُرَيْشٍ عَلَى أَبيهِ وهُوَ يَقْرأُ « تبَّتْ يَدَا أَبِى لَهَبٍ وتَبّ . . ما أَغْنَى عنْهُ مالُهُ ومَا كَسَبَ ، سيَصْلَى نارًا ذاتَ لَهَبٍ ، وامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الحَطَبِ ، فى جِيدِها حَبْلٌ منْ مَسَدٍ » .

فلمَّا سمِعَهُ أَبُوهُ يَقْرأُ هذَا الْكلامَ لطَمَهُ عَلَى وَجْهِه . . فَجَرَى الْغُلامُ إِلى أُمِّه يَبْكِي . . فَسأَلَتْ زَوْجَها : لِمَ صفَعْتَ الْغُلام ؟

قالَ : سمِعْتُهُ يتْلُو كلامًا ما سَمِعْتُهُ مِنْ قَبْلُ ، فيهِ سَبٌّ لِصَدِيقِنا أَبِى لهَبٍ ، وَدُعاءٌ عليْهِ بالْعَذابِ فى الآخِرَةِ ، وعَلَى امْرَأَتهِ بأَنْ سيكُونُ فى عُنقِها حَبْلٌ تُجَرُّ بهِ إِلى النَّار ! !

قالَتْ زَوْجَتُهُ :

وَمَا ذَنْبُ وَلَدِنا ؟ لَقَدْ سَمِعَ هَذا الْكَلامَ مِنْ أَبِى بَكْرٍ فِى الْكَعْبَةِ ، وإنَّ أَوْلادَ جِيرانِنا كَذلِكَ يُرَدِّدُون كَلاماً سَمِعُوهُ مِنْهُ . . وَيَقُولُون عَنْهُ : إِنَّهُ قُرآنٌ نَزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ مِنَ السَّماءِ !!

وَذهَبَ الرَّجُلُ فَقَصَّ عَلَى رِجالِ قُرَيْشٍ ما سَمِعَهُ مِنْ وَلَدِهِ . . وقَالَ لَهُمْ :

إذا تَرَكْنَا أَبا بَكْرٍ يَتْلُو فِى الْكَعْبَةِ مِنْ قُرآنِ مُحَمَّدٍ ، وَيَشْتُمُ آلِهَتَنَا ، ذَهَبَ دِينُنا وفَسَدَتْ عُقُولُ أَوْلادِنا ؟!

وقالَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ : وَمَا الْعَمَلُ ؟

قَالُوا : نَذْهَبُ إِلَيْهِ فَنَقْتُلُهُ !!

وذهَبَ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ فانْقَضُّوا عَلَيْهِ وهُوَ جالِسٌ فِى

الْـكَعْبَةِ يَتْلُو الْقُرآنَ الْـكَرِيمَ فَخَنقُوهُ بِمَلابِسِهِ حتَّى كادَ أَنْ يَمُوتَ !

ولمَّا تَخَلَّصَ منْ أَيْدِيهِمْ قالَ لهُمْ :

يا قَوْمُ : تُرِيدُونَ قَتْلِي لأَنِّي أَقْرَأُ كَلامَ اللهِ ؟ !
واللهِ لا أَعْبُدُ سِوَاهُ سِرًّا وجَهْرًا ، وافْعلُوا بِي ما تَشَاءُونَ ! !

* * *

اغْتَاظَتْ قُرَيْشٌ مِنْ تَحَدِّي أَبِي بكْرٍ ، فأَسْرَعَ عُتْبَةُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ إِلى أَبِي بكْرٍ ، فَخَلعَ نَعْلَيْهِ وأَخَذَ يَضْرِبُهُ بِهِما .. وعَاوَنَهُ فِي الضَّرْبِ أَخُوهُ شَيْبَةُ وابْنُهُ الْوَلِيدُ حتَّى فقَدَ أَبُو بكْرٍ وَعْيَهُ .!! فحَمَلهُ أَرْبعَةُ رِجَالٍ من قوْمِهِ ، ودَخلُوا بهِ عَلَى أُمِّهِ سَلْمَى وهُوَ فاقِدُ النُّطْقِ فصاحَتْ : واوَلَداه .!.

فقالَ لهَا الرِّجال الأرْبعة وهُمْ منْ أقْرِباءِ أبِي بكْرٍ :

لا تجْزَعي يا أُمَّاهُ !! لقَدْ تعاهَدْنا إذا ماتَ أبُو بكْرٍ لنَقْتُلَنَّ عُقبَةَ أخْذاً بِثأرِهِ !!

وَصارَتْ سلْمَى تُنادِي ولَدَها أبَا بكْرٍ فَلا يَرُدُّ !!

بعْدَ لحَظَاتٍ نطقَ أبوُ بكْرٍ فى صوْتٍ ضَعيفٍ :

أيْنَ رَسُولُ اللهِ ؟ أيْنَ رَسُولُ اللهِ ؟ احمِلُونِى إليْهِ .. احمِلُونى إليْهِ !!

خافتْ سَلْمَى أنْ تذْهَبَ فى ضَوْءِ النَّهارِ بِولَدِها أبِي بكْرٍ إلى رَسُولِ اللهِ !! خافَتْ أنْ يَتعرَّضَ لهُ رِجالٌ منْ قُريْشٍ فيَقْتُلوهُ .. وانتظَرَتْ حتَّى دخَلَ اللَّيْلُ .. فنَادَتْ جارَتَها فاطِمةَ بِنتَ الخَطَّابِ أُخْتَهُ فى الإسْلامِ لِتعاوِنَها علَى حَمْلِ أبِي بكْرٍ إلى رَسُولِ اللهِ .

* * *



أَيْنَ رَسُولُ اللهِ ؟ أَيْنَ رَسُولُ اللهِ ؟

خيَّمَ الظَّلَامُ عَلَى مكّةَ ، وَنامَ أَهْلُها ، وتَحامَلَ أبُو بكرٍ عَلَى نَفْسِهِ ، واتَّكأَ بِذِراعِه الْيُمْنَى عَلَى أُمِّه سلْمَى ، وبالْيُسْرَى عَلَى فاطِمةَ بِنْتِ الخَطَّابِ ، وسارُوا إِلى دارِ الْأَرقَمِ وكانَ النَّبيُّ مُجْتمِعاً فِيها سِرًّا هُوَ وأَصْحَابُه !

طَرقتْ فاطِمةُ الْبابَ طَرْقاً مَعْرُوفًا .. فأَطلَّ مِنَ الْبابِ رَجلٌ وصَاحَ :

هٰذا أَبُو بكْرٍ يا رَسُولَ اللهِ .!!

فأَسْرَعَ إِلَيْهِ الرَّسُولُ صَلْعَم يُعانِقهُ ويُقبِّلُهُ ، فأَجْلَسَهُ بجانِبِهِ ، ومَسَّ بأَنامِلِهِ عَلَى وَجْهِه وجِراحِه ، فعَادَ سليما مُعافًى كأَنْ لم يُصِبْهُ شيْءٌ منَ الْأَذَى ..!!

ونظرَ النَّبيُّ إِلى سلْمَى وقَالَ لأَبِي بكْرٍ : ومَنْ هٰذِه ؟

قالَ أَبُو بكْرٍ :

هِيَ أُمِّي يا رَسُولَ اللهِ .. وقدْ جاءَتْ لِتُؤْمِنَ باللهِ ورَسُولِهِ .. ثُمَّ نطقَتْ سلْمَى بالشَّهادَتيْنِ فَدَعَا لهَا رَسُولُ اللهِ .. وأَصبَحَتْ تُدْعَى « أُمُّ الخَيْرِ » ..!!

— ٥ —

لمَّا كَثُرَ إِيذَاءُ المُشْرِكينَ لِلَّذِين أَسْلَمُوا بمكَّةَ ، أَذِنَ لَهُمْ رَسولُ اللهِ صَلْعَمْ بالْهِجْرةِ إِلى الحَبَشَةِ ليَكُونُوا بَعيدِينَ عَنْ اضْطِهادِ قُرَيْشٍ لهُمْ، وكانَ أَبُو بكْرٍ منَ الَّذِين أَذِنَ لَهُمُ النَّبِيُّ الْكَرِيمُ بالْهِجْرةِ .

تَقُولُ عائِشَةُ بِنْتُ أَبى بكْرٍ :

خرَجَ أَبى مُهاجِرًا إِلى الحَبَشَةِ ، فَلَقِيَهُ فى الطَّرِيقِ ابْنُ الدَّغِنَّةِ « رَبيعَةُ » وهُوَ منْ أَشْرافِ قُرَيْش ، فقَالَ لهُ :

إِلى أَينَ يا أَبَا بكْرٍ ؟

قالَ : إلى الحَبشةِ .. لأَنَّ قُريْشًا تُؤْذِينَنِي وتُلْحِقُ بِي كَثِيراً منَ الْعَذابِ ، ولأَنِّي أَعْبُدُ رَبِّي عَلَى دِينِ الإسْلامِ !!

قالَ رَبِيعَةُ :

مَا مِثْلُكَ يَا أَبا بَكْرٍ يَتْرُكُ مكَّةَ لِيَعيشَ بَعيداً عَنْها ..! إِنَّكَ تُعْطِي الفَقيرَ ، وتُطْعِمُ الجائِعَ ، وتَكْسُو العارِيَ ، وتُنْقِذُ الْمَكْرُوبَ !! ومِثْلُكَ لا يَنْبَغِي أَنْ يَعِيشَ بَعِيداً عنْ أَهْلِهِ وَوَطَنِهِ ، فَارْجِعْ مَعِي إلى مكَّةَ واعْبُدْ رَبَّكَ كَيْفَمَا تَشاءُ ! وأَنا أَضْمَنُ لكَ الأَمْنَ والرَّاحةَ والسَّلامَ !!

* * *

رجَعَ أَبُو بكْرٍ معَ رَبِيعةَ إلى مكَّةَ .. فقَالَ رَبِيعةُ لِقَوْمِهِ :

يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ! إنَّ أَبا بَكْرٍ أَصْبَحَ في حِمَايَتِي ،

فَلاَ يَتعَرَّضَنَّ لهُ أَحَدٌ مِنْكُمْ بأَذَى !!

ورَضِيَتْ قُرَيْشٌ بتِلْكَ الحِمايَةِ ، عَلَى أَنْ يُصَلِّيَ أَبوُ بكْرٍ فى دارِه ، وَلا يَدْخُلَ الْكَعبةَ أَبداً !

وأَصْبَحَ أَبوُ بكْرٍ يُصَلِّى وَيقرأُ الْقُرآنَ وَيعبُدُ رَبَّهُ فى مَسْجِدٍ بِفِناءِ دارِه !!

وكانَ كُلَّما قرأَ الْقُرآنَ بِصَوْتِه الجَميلَ ، وتَنْغِيمِه الحُلْوِ ، الْتفَ حَوْلَ دارِه كَثيرٌ منَ الرِّجالِ والغِلْمانِ والنِّسَاءِ يَسْتَمِعُون إِلَيْهِ وهُوَ يَتْلُو الْقُرآنَ الْكَريمَ ، فيَتأَثَّرُون وَيبْكُون ، ويَحفَظُون ما يَسْمَعُون ويُرَدِّدُونَهُ فى الطُّرُقاتِ ، وَفى دُورِهِمْ ، وفى كلِّ ناحِيَةٍ منْ نَواحِى الْكَعْبَةِ ..!! وأَصْبَح كَثيرٌ مِنْهُمْ يُصَلِّى كمَا يُصَلِّى أَبوُ بكْرٍ ، ويَدْعُو اللهَ كمَا يَدْعُوهُ !!

إنْزَعجَتْ قُرَيْشٌ ، وطَارَ صوَابُها ، وهِيَ تَرَى أَبْناءَها يُصَلُّون كَمَا يُصَلِّى أَبوُ بكْرٍ ، وخَافَتْ عَلَى دِينِها من الضَّياعِ . فذَهبَتْ إلى رَبيعةَ وقَالَتْ لهُ :

إنَّ أَبا بكْرٍ أَضاعَ دِينَنا وأَفْسَدَ علَيْنا أَبْناءَنا . . فقلْ لهُ أنْ يُصَلِّيَ فى غُرْفَةٍ بِدارِه ويُغلِقَها عَليْهِ وهُوَ يُصَلِّى ويَقْرأُ . . !

وَذهَبَ رَبيعَةُ إلى أَبِي بكْرٍ وأَخْبَرَهُ بما تَطْلُبُ قُرَيْشٌ . . فقَالَ لهُ أبوُ بكْرٍ :

إنِّى خَرَجْتُ منْ حِمَايَتِكَ ، ودخَلْتُ فى حِمَايةِ رَبِّى ! ! وسَوْفَ أَعْبُدُهُ كَمَا أَشاءُ ، وأَتَحَمَّلُ فى سَبيلِ عِبادَتِهِ الاضْطِهادَ والْإِيذاءَ !! واللهُ الْقادِرُ الْمُقْتَدِرُ هُوَ الْكَفيلُ بِرِعَايَتِي وحِمَايَتِي ، وهُوَ الْمَوْلَى ونِعْمَ النَّصيرُ . . !

فى صباحِ أَحدِ الأيَّامِ، دخلَتْ زَوْجُ أَبى بكْرٍ عَلى ابْنَتِها عائِشَةَ فقَالَتْ لهَا :

يا بِنْتِى : رأَيْتُ حُلْمًا عَجِيبًا . .

قالَتْ عائِشَةُ : خيْرٌ يا أُمَّاهُ . . !

قالَتْ أُمُّها :

رأَيْتُ نُجُومَ السَّماءِ تتَسَاقَطُ فى حِجْرِى وفِيها بَرِيقٌ كاللُّؤْلُؤِ !! وَرأَيْتُنى أَجْمَعُ النُّجُومَ بِيَدِى وأُنَظِّمُهَا فى خيْطٍ رَفيعٍ حتَّى أَصْبَحَتْ كالْعِقْدِ . . ثُمَّ أَسْرَعْتُ إِليْكِ وَوَضَعْتُ الْعِقْدَ فى عُنقِكِ ، فأَضاءَ وَجْهكِ وصِرْتِ فيهِ كالْقَمرِ الْمُنِيرِ . . !

وَمَا كادَتِ الْأُمُّ تتِمُّ كلاَمَها حتَّى دخَلَ أَبوُ بكْرٍ مُتهَلِّلاً وهُوَ يَقُولُ لابْنَتِه :

بُشْرَاكِ يا عائِشَةُ . . هَنِيئًا لَكِ يا ابْنَتِي . .

ونظرَتْ إِلَيْهِ عائِشَةُ فى فَرَحٍ ولَهْفَةٍ وَصاحَتْ :

بماذا يا أَبِي ؟

وصَاحَ أَبُو بكْرٍ : لقَدْ خَطَبَكِ رَسُولُ اللهِ صَلْعَمْ .

وأَقْبلَ عَلَى ابْنَتِهِ يُقبِّلُها ويبْكِي من شِدَّةِ الفَرَحِ ويقُولُ :

واللهِ لَوْ مَلَكْتُ خزَائِنَ الْأَرْضِ ، وقبَضْتُ عَلَى نُجُومِ السَّماءِ بِيَدِي ما فَرِحْتُ بِها فَرَحِي بِهذا الشَّرَفِ الْكَرِيمِ !!

لقَدْ أَقْبَلَتْ عَليْكِ السَّعادَةَ يا عائِشَةُ ، فأَنْتِ فى الدُّنْيا أُمُّ الْمُؤْمنِين . . وزَوْجُ النَّبِيِّ الطَّاهِرِ الْكَرِيمِ . .

فبَكَتْ عائِشَةُ منْ الْفَرَحِ ، وقبَّلَتْ أُمَّها وهِيَ تتْلُو : « هذَا تأْوِيلُ رُؤْيايَ منْ قبْلُ . . قدْ جعلَها رَبِّي حقًّا » .



رَأَيْتُ كَأَنَّ نُجُومَ السَّمَاءِ تَتَسَاقَطُ فِي حِجْرِي !

— ٦ —

أَمَرَ اللهُ سُبْحَانَه وتَعالَى نَبِيَّهُ الْكَرِيمَ أَنْ يُهاجِرَ إلى المَدِينةِ ، فأَخْبَرَ أَبا بكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بأَمْرِ الْهِجْرةِ ، واخْتارَهُ رَفيقاً لهُ !!

فَرِحَ أَبُو بكْرٍ فَرحًا عَظِيماً ، وجَمَع بعْضَ أَوْلادِه وأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ مُهاجِرٌ معَ رَسُولِ اللهِ ، وقَالَ لِوَلَدِه عبْدِ اللهِ :

سنَقْضِي ثَلاثَةَ أَيَّامٍ فى غارٍ بِجبَلِ ثَوْرٍ ، فعَلَيْكَ أَنْ تأْتِيَ إِلَيْنا كلَّ لَيْلَةٍ مُتَخَفِّياً لِتَنْقُلَ إِلَيْنا ما يَقُولُهُ المُشْرِكُون عَنَّا .. وَلا تُخْبِرْ أَحداً بِهَذِه الْهِجْرةِ ، وَلا تَذْكُرْ شيْئاً عَنْها لِأَخيكَ عبْدِ الرَّحْمَنِ .. إِنَّهُ وَلَدِي كَذلِك .. ولـكِنَّهُ كافِرٌ لا يُؤْمَنُ جانِبُهُ !!

قالَتْ عائِشَةَ رضِيَ اللهُ عَنْها :

أَقْبَلَ النَّبِيُّ صَلْعَم عَلَى أَبى بكرٍ من خُوخَةٍ فى جِدارِ الْبَيتِ ، والآلُ مُسْدِلٌ سُتُورَهُ ، فَخَرَجَا إِلى غارٍ بِثَوْرٍ: جَبَلٍ فى أَسْفَلِ مكَّةَ !!

وكانَتْ أَسْماءُ بِنْتُ أَبى بكرٍ تَحْمِلُ إِليهِما الطَّعامَ لَيْلاً ، والظَّلامُ مُخَيِّمٌ .. والنَّاسُ نِيامٌ !!

وكانَ عبْدُ اللهِ ابْنُ أَبِي بكْرٍ يَتَسَمَّعُ فى النَّهارِ ما يقُولُهُ المُشْرِكُونَ عنِ اخْتِفاءِ النَّبيِّ وصاحِبهِ .. ثُمَّ ينْقُلُ إِلَيْهما لَيْلاً ما عَرَفَ منَ الأَخْبار ..!

* * *

وفى الطَّرِيقِ إِلى الْغارِ كانَ أَبُو بكْرٍ يَمْشِي مرَّةً أَمامَ النَّبيِّ ، وَمرَّةً خَلْفَهُ ، وَمرَّةً عَنْ يَمِينِه ، وَمرَّةً عَنْ يَسَارِه . ولمَّا سأَلَهُ النَّبيُّ عَمَّا يفْعَلُ أَجابَ :

لِكَيْ أَحْمِيَكَ مِنْ كلِّ نَاحِيَةٍ يا رَسُولَ اللهِ !!

وَلَمْ يكُنِ النَّبي مُتَعوِّدًا الصُّعُودَ عَلَى الصُّخُورِ النَّاتِئةِ، وَلَمْ يكُنْ كَذلِكَ مُتَعوِّدًا عَلَى السَّيْرِ حافِيَ الْقَدَمَيْنِ، فَحَمَلَهُ أَبُو بكْرٍ عَلَى ظَهْرِهِ — رَغْمَ أَنَّهُ كانَ نَحِيفًا — وَظَلَّ يَمْشِي بهِ فَوْقَ الصُّخُورِ حتَّى أَنْزَلَهُ أَمامَ الْغارِ !!

وأَرادَ النَّبيُّ أَنْ يَدْخُلَ الْغارَ فَسَبَقَهُ أَبُو بكْرٍ وقَالَ:

واللهِ لا تَدْخُلُهُ حتَّى أَدْخُلَهُ قَبْلَكَ .. فإِنْ كانَ فيهِ ضَرَرٌ أَصابَنِي قَبْلَكَ .. !

دخَلَ أَبُو بكْرٍ الْغارَ فوَجَدَ بهِ ثُقُوباً، فقَطَّعَ إِزارَهُ قِطَعاً سَدَّ بِها تِلْكَ الثُّقُوبَ، وبَقِيَ ثُقْبٌ وَاحِدٌ وَضَعَ فيهِ قَدَمَهُ فَسَدَّهُ .. ثُمَّ نَادَى رَسُولَ اللهِ فَدَخَلَ الْغارَ وكانَ تَعْبانَ مُجْهَدًا، فوَضَعَ رأْسَهُ فِي حِجْرِ أَبِي بكْرٍ وَنامَ .!

وَبَيْنَمَا النَّبيُّ صلعم نائِمٌ، وأَبو بَكْرٍ وَاضِعٌ قَدَمَهُ فى الثُّقْبِ . . لَدَغَتْهُ عَقْرَبةٌ لَدْغَةً أَليمةً ، فلَمْ يُحَرِّكْ أَبُو بكْرٍ قَدَمَهُ حتَّى لاَ يُوْقِظَ الرَّسُولَ مِنْ نَوْمِهِ ، . وَظَلَّ يتأَوَّهُ مِنَ الْأَلَمِ حتَّى بَكَى فسقَطَتْ دُمُوعهُ عَلَى وَجْهِ النَّبيِّ ، فصَحَا مِنَ النَّوْمِ وقَالَ :

مَا يُبْكِيكَ يا أَبا بَكْرٍ ..؟

قَالَ : حيَّةٌ لَدَغَتْنِي ! !

فمَرَّ رَسُولُ اللهِ بِيَدِهِ عَلَى مَوْضِعِ اللَّدْغَةِ فزَالَ الْأَلَمُ مِنْ قَدَمِ أَبِي بكْرٍ ، وكأَنَّ شَيْئًا لَمْ يَكُنْ . .

فَنظَرَ أَبُو بكْرٍ إِلى النَّبيِّ وَهتَفَ :

بِأَبِي أَنْتَ وأُمِّى يَا رَسُولَ الله ..!

فرَفعَ النَّبيُّ يَدَيْهِ إِلى اللهِ وَقَالَ :

أَللّٰهُمَّ اجْعَلْ أَبَا بَكْرٍ فِى دَرَجَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ ..!!

وَبَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنَ الْإِقَامَةِ فِى الْغَارِ ، خَرَجَ النَّبِيُّ وَأَبُو بَكْرٍ قَاصِدَيْنِ الْمَدِينَةِ .

— ٧ —

لَقَدْ كَانَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ الْمُسْلِمَ الْأَوَّلَ ، وَالْمُجَاهِدَ الْأَوَّلَ . . لَقَدْ تَحَمَّلَ الْآلَامَ وَالْإِيذَاءَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ . . وَضَحَّى بِأَمْوَالِهِ جَمِيعِهَا فِى نُصْرَةِ الْإِسْلَامِ وَنَشْرِهِ وَإِعْلَاءِ شَأْنِهِ !!

وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يَقُولُ :

وَاللّٰهِ لَا أَبْخَلُ بِمَالِى عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَوْ مُسْلِمَةٍ تُعَذَّبُ فِى دِينِ اللّٰهِ ، فَالْمَالُ مَالُ اللّٰهِ ، وَالْفُقَرَاءُ عِبَاد

اللهِ ، وُلِدْتُ عُرْيَانَ !! فلَوْ دخَلْتُ قَبْرِى عُرْيَانَ مَا خَسِرْت شَيْئًا .. !

* * *

وَلَمْ يَقتَصِرْ أَذَى الْمُشْرِكِينَ عَلَى أَبِي بكْرٍ وَحْدَهُ ، بَل أَلْحَقُوا الْأَذَى بِبَعْضِ أَهْلِهِ .

تَقُولُ أَسْمَاءُ ابْنَتُهُ :

لمَّا هَاجَرَ أَبُو بكْرٍ مَعَ رَسُولِ اللهِ حَمَلَ مَعَهُ خَمْسَةَ آلافِ دِرْهَمٍ ، وهِيَ الباقِيَةُ مِنْ مَالِه !! فأَتانَا نفَرٌ مِنْ قُرَيْشٍ وفِيهِمْ أَبُو جَهْلٍ فَسَأَلَنِي :

أَيْنَ أَبُوكِ ؟ قُلْتُ : لاَ أَدْرِى !

فرَفَعَ أَبُو جَهْلٍ يَدَهُ ولَطَمَنِي عَلَى خَدِّى لَطمَةً طارَ مِنْهَا قُرْطِي .. !

وَبعْدَ انْصِرافِ أَبِي جَهْلٍ حضَرَ جَدِّى أَبُو قُحَافَةَ مَرَّةً أُخْرَى فقَالَ لِى :

ضَاعَ أَبُوكِ بَعْدَ أَنْ ضَيَّعَ أَمْوَالَهُ .

قُلْتُ : لاَ يَا جَدِّى !! مَا ضَاعَ أَبِى .. وَمَا ضَاعَتْ أَمْوَالُهُ !!

قَالَ : هَلْ تَرَكَ لَكُمْ بَعْضًا مِنْهَا ؟

قُلْتُ : لَقَدْ تَرَكَ لَنَا خَيْرًا كَثِيرًا !!

قَالَ فِى لَهْفَةٍ وَتَفَزُّعٍ : أَيْنَ ؟ أَيْنَ ؟

فَأَخَذْتُ أَحْجَارًا صَغِيرَةً ، وَلَفَفْتُهَا فِى صُرَّةٍ .. ثُمَّ وَضَعْتُهَا فِى طَاقَةٍ فِى الْبَيْتِ كَانَ أَبِى يَضَعُ فِيهَا أَمْوَالَهُ !! وَأَخَذْتُ بِيَدِ جَدِّى وَوَضَعْتُهَا عَلَى الصُّرَّةِ ، فَاسْتَرَاحَ وَقَالَ : لاَ بَأْسَ إِذَا كَانَ تَرَكَ لَكُمْ هَذَا الْمَالَ ، وَانْصَرَفَ .!

* * *

وَلَمَّا فَتَحَ الْمُسْلِمُونَ مَكَّةَ بِقِيَادَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَرَفْرَفَتْ رَايَاتُ الْإِسْلَامِ عَلَى رُبُوعِ

البلادِ العَربيَّةِ جَميعِها ، وأقْبَلَ مَنْ بَقىَ مِنَ المُشْرِكِينَ فى مكَّةَ عَلَى رسُولِ اللهِ فأَسْلَمُوا بَيْنَ يَدَيْهِ ، وحُطِّمَتِ الأَصْنامُ ، وطُهِّرَتِ الْكَعْبَةُ مِمَّا كانَ حَوْلَها مِنَ الرِّجْسِ والضَّلاَلِ . .

أَتَى أبُو بَكْرٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ إلى النَّبِىِّ صلعَمْ يَقُودُ أَبَاهُ أَبَا قُحَافَةَ وقَدْ كانَ أعْمَى .. فلمَّا رآهُ الرَّسُولُ قالَ لِأَبِى بكْرٍ :

لِمَ لَمْ تَتْرُكِ الشَّيْخَ فى دَارِهِ لِآتِىَ إلَيْهِ بِنَفْسِي ؟

أَجابَ أبُو بكْرٍ :

لاَ يا رَسُولَ اللهِ ! مِثْلُكَ لا يَسْعَى إلى مِثْلِهِ .. وإنَّما هُوَ الَّذِى يَسْعَى إلَيْكَ !

وَجلَسَ الشَّيْخُ أبُو قُحَافَةَ بَيْنَ يَدَىْ رَسُولِ اللهِ ، ونَطَقَ بالشَّهادَتَيْنِ فَدَخلَ فى دِينِ الإِسْلامِ .

— ٨ —

دَخَلَ رَسُولُ اللهِ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ المَدِينَةَ « يَثْرِبَ » فاسْتَقْبَلَهُ الأَنْصَارُ والمُهَاجِرُون الَّذِينَ سَبَقُوهُ إِلَيْهَا استِقْبالاً حَمَاسِيًّا هَاتِفِينَ بالإِسْلامِ الحَنِيفِ ، وبالإِيمَانِ باللهِ الَّذِى لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ !

وَبَدَأَ النَّبِيُّ فى تَنْظِيمِ أُمُورِ المُسْلِمِين ، وَفِى تَعْلِيمِهِمْ أُمُورَ دِينِهِمْ ، وفِى دَعْوَةِ القَبَائِلِ العَرَبِيَّةِ النَّائِيَةِ إِلى الإِسْلامِ .. وَقَدِ اتَّخَذَ النَّبِيُّ أَبَا بَكْرٍ وَزِيراً لهُ وكاتِماً لِسِرِّهِ ، ومُشِيرًا لهُ فى أُمُورِ الدِّينِ .

وَكانَ فى المَدِينَةِ كَثِيرٌ مِنَ الْيَهُودِ ، فَدَعَاهُمُ النَّبِيُّ إِلى الإِسْلامِ ، أَوْ إِلى الطَّاعَةِ والمُسَالَمَةِ !! ولَكِنَّ الْيَهُودَ كانُوا مُنَافِقِينَ ، يُظْهِرُون لِلنَّبِيِّ غَيْرَ ما يُخْفُون !! لقَدْ

أَظْهَرُوا لِلنَّبِيِّ الطَّاعَةَ والمُسَالَمَةَ ، ولَـكِنَّهُمْ فى الحَقِيقَةِ كانُوا يُضْمِرُونَ للإِسْلامِ كَيْدًا وبُغْضًا !! ويَتَطاوَلُونَ عليْهِ فى الجَدَلِ والْمُناقَشَةِ !

* * *

دخَلَ أبُو بَكْرٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ إلى مَجْمَعِ الْيَهُودِ بالمَدِينَةِ ، وكانَ فِيهِمْ كَبِيرٌ مِنْ عُلمَائِهِمْ اسْمُهُ «فِنْحَاصْ» فاسْتَقْبلَهُ الْيَهُودُ بالتَّرْحِيبِ .. ثُمَّ الْتَفَتَ أبُو بكْرٍ إلى كَبيرِهِمْ « فِنْحَاصْ » وقَالَ لهُ :

يَا فِنْحَاصُ !! دَعْكَ مِنَ الْمُنَاقَشَةِ وكَثْرَةِ الْكلامِ !! واتَّقِ اللهَ وادْخُلْ فِى دِينِ الْإِسْلامِ !! وإنَّكَ لَتَعْلَمُ أنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ ، قَدْ جَاءكُمْ بالْحَقِّ مِنْ عِنْدِهِ ، تَجِدُونَهُ مكْتُوبًا عِنْدَكُمْ فِى التَّوْراةِ والْإِنْجِيل !!

فَرَدَّ فِنْحَاصُ رَدًّا فَاحِشًا وقِحًا وقَالَ :

واللهِ يَا أَبا بَكْرٍ : إِنَّنا لَسْنَا فُقَراءَ إِلى اللهِ .
ولَكِنَّ اللهَ هُوَ الفَقِيرِ إِلَيْنا ! ! ولاَ نَتَضَرَّعُ إِلَيْهِ ! !
ولَكِنَّهُ هُوَ الَّذِي يَتَضَرَّعُ إِلَيْنا ! ! ولَوْ كانَ غَنِيّاً عنَّا
مَا أَعْطَانا النُّقُودَ وأَحَلَّ لنَا الرِّبَا وحَرَّمَهُ عَلَيْكُمْ ..!!

سَمِعَ أَبُو بكْرٍ هذَا الْكلاَمَ الْفَاحِشَ ، فَطَارَ صَوَابُه
— وهُوَ الرَّجُلُ المَعْرُوفُ بالْوَداعَةِ والرِّقَّةِ والهُدُوءِ —
فانْقَضَّ عَلَى فِنْحَاصَ وراحَ يَلْطِمُهُ ويَرْكُلُهُ بِرِجْلِهِ حتَّى
أَدْمَى وجْهَهُ ورَأْسَهُ !! ثُمَّ صَاحَ : واللهِ لَوْلا أَنَّ بَيْنَنَا
وبَيْنَ الْيَهُودِ عهْدًا لَقتَلْتُكَ يَا عَدُوَّ اللهِ .. ثُمَّ انْصَرَفَ
عَنْهُ وبِهِ غَيْظٌ شَديدٌ ..!

* * *

وذَهَبَ فِنْحَاصُ إِلى رَسُولِ اللهِ يَشْكُو أَبَا بكْرٍ ..!
فقَالَ الرَّسُولُ لِأَبِي بكْرٍ : لِمَاذا صَنعْتَ هذَا بالْيَهُودِيِّ؟

فقَالَ أبُو بكرٍ : يَا رَسُولَ اللهِ : إنَّ هذَا اليَهُودِيَّ قالَ قَوْلاً فَاحِشاً ! ! إنَّهُ زعمَ أنَّ اللهَ فقيرٌ إليْهِمْ . . وأنَّهُمْ عَنْهُ أغْنِياءُ ..!

ولَـكِنَّ فِنْحَاصَ أنْـكَرَ مَا قالَهُ . . فـكَذَّبَ اللهُ فِنْحَاصَ . . وصدَّقَ أبَا بكْرٍ فى الآيَةِ الـكَرِيمةِ مِنْ سُورَةِ آلَ عُمْرانَ :

« لقَدْ سَمِـعَ اللهُ قوْلَ الَّذِينَ قَالوا إنَّ اللهَ فقيرٌ ونَحْنُ أغْنِيـاءُ . . سَنكْتُبُ مَا قَالُوا وقَتْلَهُمْ الأنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حقٍّ ، ونَقولُ ذُوقُوا عذَابَ الحَرِيقِ » .

هذَا هوَ أبُو بكْرٍ الصِّدِيقُ ، الهَادِئُ الْوَدِيـعُ . . اللَّطِيفُ الرَّقِيقُ . . الثَّابتُ الرَّزِينُ ! ! الَّذِى يَنقَلِبُ ثائرًا عَنِيفاً ، هائِجًا مُدمِّرًا ، حِينَ يَسْمَعُ كَلِمةً أوْ يرَى



يَا فِنْحَاص : إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّ مُحَمَّدَ رَسُول اللهِ ! !

حَرَكَةً تمسُّ النَّبيَّ . . أوْ تنَالُ مِنْ قَدَاسةِ الإسْلامِ الْعَظِيمِ . . !

— ٩ —

صَاحَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنها صَيْحَةً مُفْزِعةً . . والنَّبِيُّ الْكَرِيمُ رَاقِدٌ فِي حِجْرِها وقَدْ فَارَقَ الْحَياةَ ! !

وَسَمِعَ النِّسَاءُ تِلْكَ الصَّيْحَةَ فَوَلْوَلْنَ بِالْبُكاءِ ! !

وَسَمِعَ أَبُو بكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بُكاءَ النِّسَاء فَدَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ فَوَجَدَ النَّبِيَّ رَاقِدًا فِي حِجْرِها وعَلَى جَسَدِه وَوَجْهِهِ غِطَاءٌ . . فَرَفَعَ الْغِطَاءَ عَنْ وَجْهِه بِرِفْقٍ ، وَقَبَّلَهُ فِي جَبِينِه قُبْلَةَ الْوَدَاعِ . . ثُمَّ أَلْقَى عَلَيْهِ نَظْرَةً أَخِيرَةً ، أَوْدَعَهَا كُلَّ مَا فِي قَلْبِه مِنْ أَلَمٍ وحَسْرَةٍ عَلَى فِرَاقِ صَاحِبِه وحَبِيبِه رَسُولِ اللهِ !

وخَرَجَ أَبُو بكْرٍ إِلَى النَّاسِ فَوَجَدَهُمْ فى فَزَعٍ وذُعْرٍ وحُزْنٍ عَمِيقٍ ، فَصَاحَ فِيهِمْ :

« أَيُّهَا النَّاسُ !! مَنْ كانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا فإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ . . ومَنْ كانَ يَعْبُـــدُ اللهَ فإِنَّ اللهَ حَيٌّ لاَ يَمُوتُ ..! » .

سَمِـعَ الْمُسْلِمُونَ النَّبَأَ الْمُفْزِعَ فَخَيَّمَ عَلَيْهِمْ صَمْتٌ حَزِينٌ ..وبَكَى عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ حتَّى سَقَطَ عَلَى الْأَرْضِ مَغْشِيًّا عليْهِ !! ونَظَرَ الْمُسْلِمُون إِلَى أَبِي بكْرٍ وتَسَاءَلُوا :

مَاذَا نَصْنَعُ وقَدْ مَاتَ رَسُولُ اللهِ ؟

ولَـكِنَّ أَبَا بكْرٍ مَشَى فى خُطُوَاتٍ ثَابِتَةٍ وَوَقَفَ بِبابِ الْمَسْجِدِ ، ثُمَّ الْتَفَتَ فَرَأَى عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ واقِفًا بِجَانِبِه ، فَزَادَ ذَلِكَ مِنْ ثَبَاتِهِ وقُوَّتِهِ !!

وبَيْنَما هُمَا وَاقِفَانِ ، جاءَهُمَا رَجُلانِ يَقُولاَنِ لَهُما : إِنَّ جَمَاعَةَ الأَنْصَارِ مُجْتَمِعُون فى سَقِيفَةٍ يَتَنَاقَشُون فِيمَنْ يَخْلُفُ رَسُولَ اللهِ !

سَارَعَ أَبُو بكْرٍ وعُمَرَ ، واصْطَحَبا مَعَهُما عُبَيْدَةَ ابْنَ الجَرَّاحِ ، وذَهَبَا إِلَى جَمَاعَةِ الأَنْصَار . . وسَمِعَ المُهَاجِرُون بِهَذَا الاجْتِمَاعِ ، فذَهَبُوا إِلَيْهِ ، فَوَقَفُوا فى نَاحِيَةٍ كَمَا وقَفَ الأَنْصَارُ فى نَاحِيَةٍ أُخْرَى مِنَ الاجْتِماع !!

* * *

كانَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ثَائِرًا ، يَتَطَايَرُ الشَّرُّ مِنْ عَيْنَيْهِ ، وسَيْفُهُ مُعَلَّقٌ بِجَانِبِه !! وكانَ مَهِيبًا قَوِيًّا ، مُخِيفًا إِذا صَاحَ أَوْ أَمَرَ !!

ورَأَى أَبُو بكْرٍ أَنَّ عُمَرَ مُتَحَفِّزٌ للنِّضَالِ ، فقَالَ لهُ : مَهْلاً يا عُمَرُ ..! فَسَكَنَ عُمَرُ وهَدَأَ . .

ثُمَّ نظَرَ أَبُو بكْرٍ إِلى جَمَاعةِ الْأَنْصَارِ فقالَ لهُمْ :

مَاذَا تُرِيدُون ؟

قَالُوا : نُرِيدُ أَنْ يكُونَ خَلِيفَةُ رَسُولِ اللهِ مِنَّا ،

وقَامَ خَطِيبُهُمْ يَقُولُ :

نُرِيدُ أَنْ يكُونَ خَلِيفَةُ رَسُولِ اللهِ مِنَّا !! لِأَنَّنا نَحْنُ الْأَنْصَارَ الَّذِين نَصَرْنا كُمْ وآوَيْنَا كُمْ فى دُورِنا ، وَقَاسَمْنا كُمْ أَمْوَالَنا .. لقَدْ مَكَثَ رَسُولُ اللهِ فى مكَّةَ ثَلاثَةَ عَشَرَ عَاماً وقُرَيْشٌ تُحَارِبُهُ وتُعَذِّبُ الْمُسْلِمِين ، وتُطَارِدُ مَنْ يُسْلِمُ مِنْهُمْ .. فَجِئْتُمْ إِلى المَدِينةِ ـ إِلَيْنا ـ فَرَحَّبْنا بِكُمْ ، وضَحَّيْنا بِرِجَالِنا وأَمْوَالِنا فى سَبِيلِ نُصْرَةِ الْإِسْلامِ ، وَحارَبْنا أَعْدَاءَكُمْ ، ونَصَرْنا كُمْ حتَّى انْتَشَرَ الْإِسْلامُ ، وعَمَّ الْبِلَادَ الْعَرَبِيَّةَ .. فَكَيْفَ لاَ يكُونُ

خليفةُ اللهِ مِنَّا ؟ وكَيْفَ لاَ نكُونُ أَحقَّ بالْخِلاَفةِ مِنْكُمْ يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِين ؟؟!

— ١٠ —

سَمِعَ الْمُهَاجِرُون هذا الْكَلاَمَ ، فهَاجُوا وثَارُوا .. ولَكِنَّ أَبَا بكْرٍ أَشَارَ علَيْهِمْ بالسَّكِينةِ والْهُدُوءِ فسَكَتُوا .. ثُمَّ قَامَ أَبُو بكْرٍ فقَالَ :

يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ !! نَحْنُ لاَ نُنكِرُ فَضْلَكُمْ علَى الْإِسْلاَمِ ، ولاَ حُسْنَ اسْتِقْبالِكُمْ لِلْمُسْلِمِين .

لقَدِ اخْتَارَكُمُ النَّبِيُّ لهُ أَصْحَاباً ، واصْطَفَاكُمْ إِخْوَاناً وأَحْبَاباً ، فَجَاءَ إِلى مَدِينَتِكُمْ فَطَهَّرَهَا مِنَ الشِّرْكِ ، ونَوَّرَ بِالْإِسْلاَمِ قُلُوبَكُمْ ، وهَدَاكُمْ إِلى طَرِيقِ الْحَقِّ .

ونَحْنُ الْمُهَاجِرِين أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِمُحَمَّدٍ ، وأَوَّلُ

المُسْلِمِينَ الَّذِينَ عَبَدُوا اللهَ ، تَحَمَّلْنَا الْأَذَى مِنَ الْمُشْرِكِينَ فى مكَّةَ فَصَبَرْنَا ، وضَحَّيْنَا بِدُورِنَا وَوَطَنِنَا وأَمْوَالِنَا فى سَبِيلِ نُصْرَةِ الإِسْلَامِ ، ونَحْنُ أَوَّلُ مَنْ حَطَّمَ الْأَصْنَامَ .

ونَحْنُ أَهْلُ الرَّسُولِ وعَشِيرَتُهُ ، وأَقَارِبُهُ وأَصْهَارُهُ ، تَزَوَّجَ مِنْ بَنَاتِنَا ، وتَزَوَّجْنَا مِنْ بَنَاتِهِ . . فكَيْفَ تكُونُونَ أَحقَّ بالْخِلَافَةِ مِنَّا ؟

ثُمَّ سَكَتَ أَبُو بَكْرٍ وقَدْ فَاضَتْ عَيْنَاهُ بالدَّمْعِ . . ونَظَرَ إِلى الْأَنْصَارِ وقَالَ :

لَا يَا أَنْصَارَ الرَّسُولِ ، نَحْنُ الْخُلَفَاءُ ، وأَنْتُمْ الْوُزَرَاءُ ! !

* * *

ثُمَّ تقَدَّمَ أَبُو عُبَيْدَةَ وقَالَ :

أَيُّهَا الْأَنْصَارُ ! ! كُنْتُمْ أَوَّلَ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ

وَنَصَرَهُ !! فَلاَ تَكُونُوا بَعْدَ مَوْتِهِ أَوَّلَ مَنْ عَصَاهُ وخَالَفَ أَمْرَهُ !!

فَتَأَثَّرَ الأَنْصَارُ وبكَوْا ، ورَجَعُوا عَنْ عَزْمِهِمْ ، وَقَالُوا :

واللهِ مَا نَبْغِي إلاَّ رِضَاءَ اللهِ عَنَّا ، فإِلَيْكُمْ مَا تُرِيدُون أَيُّها الْمُهاجِرُون !!

فقَالَ أَبُو بكْرٍ :

هذَانِ اثْنَانِ مِنْ كِبَارِ الْمُهَاجِرِين ، هُمَا عُمَرُ وأَبُو عُبَيْدَة .. فاخْتَارُوا واحِدًا مِنْهُمَا خَلِيفَةً لِلْمُسْلِمِين . !

فصَاحَ عُمَرُ :

لاَ يَا أَبَا بَكْرٍ ..! إِنَّكَ أَنْتَ الخَلِيفَةُ ! واللهِ لاَ يكُونُ الخَلِيفَةُ غَيْرَكَ . . فأَنْتَ أَوَّلُ الْمُسْلِمِين ، وَصَاحِبُ الرَّسُولِ فِى الْغَارِ ، وَمَنْ دافَعَ عَنْهُ بِرُوحِهِ

وَمالِهِ ! ! امْدُدْ يَدَكَ أُبايِعْكَ . . وأُشْهِدُ اللهَ أَنَّكَ خَلِيفَةُ رَسُولِهِ ، والْمُتَصَرِّفُ فِي أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ بَعْدَهُ .

وَبايَعَهُ كَذلِكَ أَبُو عُبَيْدَةَ وجَمِيعُ الْأَنْصارِ .

— ١١ —

أَصْبَحَ أَبُو بَكْرٍ خَلِيفَةً لِرَسُولِ اللهِ ، فَصَلَّى بِالنَّاسِ فِي الْمَسْجِدِ ، ثُمَّ وَقَفَ بَيْنَهُمْ خَطِيبًا فَقالَ :

أَيُّهَا النَّاسُ ! ! قَدْ وَلَّيْتُمُونِي عَلَيْكُمْ ، وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ ، فَإِنْ أَحْسَنْتُ فَأَعِينُونِي ، وَإِنِ انْحَرَفْتُ فَقَوِّمُونِي.. الصِّدْقُ أَمانَةٌ ، والْكَذِبُ خِيانَةٌ .. والضَّعِيفُ فِيكُمْ قَوِيٌّ عِنْدِي حَتَّى آخُذَ لَهُ حَقَّهُ ، والْقَوِيُّ فِيكُمْ ضَعِيفٌ عِنْدِي حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ مِنْهُ .. أَطِيعُونِي مَا أَطَعْتُ اللهَ وَرَسُولَهُ ، فَإِذَا عَصَيْتُ اللهَ ، فَلَا طَاعَةَ لِي عَلَيْكُمْ » .

* * *

كانَ أَبُو بكْرٍ هَادِئَ الطَّبْعِ ، رَقيقًا ، ودِيعًا ، مُرْهَفَ الإِحْسَاسِ ، يتأَثَّرُ بالْكلِمَةِ فيَبْكِي . ولَكنَّهُ كانَ قوِيًا شَديداً ، صُلبًا عنيدًا فِي أَيِّ أَمْرٍ يَمَسُّ الدِّين، أَوْ يَنْحَرِفُ عَنْ قوَاعِدِ الإِسْلامِ ، أَوْ يُخَالِفُ أَوَامِرَ رَسُولِ اللهِ .

كانَ النَّبِيُّ صلعم قدْ أَرْسلَ جَيْشًا لِفَتْحِ بِلَادِ قُضَاعَةَ عَلَى أَطْرافِ الشَّام، وعَيَّنَ أُسامَةَ بْنَ زَيْدٍ قائِدًا لِلْجَيْشِ ، وَكانَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ جُنْدِيًّا فيهِ .. فلمَّا مَاتَ الرَّسُولُ ، طلَبَ عُمَرُ مِنْ أَبِي بكْرٍ تعْيِينَ قَائِدٍ آخرَ لِلْجَيْشِ لِأَنَّ أُسَامَةَ كانَ شابًّا حَدِيثَ السِّنِّ !!

فنَظَرَ أَبُو بكْرٍ إِلى عُمَرَ نظْرَةً مُخِيفَةً .. وهَجَمَ عَلَيْهِ ، وجَذَبَهُ مِنْ لِحْيَتِهِ جَذْبَةً قَوِيَّةً وقَالَ لهُ :

يا ابْنَ الخَطَّابِ!! تُرِيدُ أَنْ أُغَيِّرَ قَائِدًا عيَّنَهُ رَسُولُ اللهِ ..!؟ لاَ واللهِ لَنْ يكُونَ هذا أَبدًا ..

وارْتعَدَ عُمَـرُ بْنُ الخَطَّابِ وهُوَ القَوِىُّ الشَّدِيدُ ، وخَرَجَ مِنْ عِنْدِ أَبى بكْرٍ بَاكِيًا ..!!

وتَحرَّكَ الجَيْشُ إِلى بِلاَدِ قُضَاعةَ ، وقَبْلَ أَنْ يتحرَّك ، نَادَى أَبُو بكْرٍ أُسَامَةَ وقَالَ لهُ :

يَا أُسَامَةُ !! افعَلْ ما أَمَرَكَ بهِ نَبِىُّ اللهِ ..

وانْتصَرَ جَيْشُ أُسامَةَ ، وفتَحَ بِلاَدَ قُضَاعةَ ورَجَعَ أُسامةُ ظَافِرًا ..!!

* * *

وكَانَ أَبُو بكْرٍ زَاهِـــدًا فِى الدُّنْيا ، كانَ يَشْتَغِلُ بالتِّجَارةِ بَعْدَ الخِلاَفةِ كَمَا كانَ يَشْتَغِلُ بها أَثْناءَ حياةِ رَسُولِ اللهِ .

حَملَ يَوْمًا بَعْضًا مِنَ الثِّيابِ عَلَى كَتفِهِ ، وتوَجَّه إلى السُّوقِ لِبَيْعِها ! ! وقَابلَهُ فى الطَّرِيقِ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ وكانَ قَاضِياً لِلْقُضَاةِ ، وأبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاح وكَانَ أَمِينًا لِبَيْتِ المَالِ ، فقَالاَ لهُ :

إلى أَيْنَ يا أَبَا بَكْرٍ ؟

قالَ : إلى السُّوقِ لِأَبيعَ هَذهِ الثيابَ !!

قَالَ لَهُ عُمَر :

تَذْهَبُ الى السُّوقِ لِبَيْعِ الثِّيابِ وأَنْتَ خَليفة المسْلمِين ؟ ! !

قَالَ أَبُو بكْرٍ : ومِنْ أَيْنَ أَطْعِمُ عِيالِى ؟

فقَالاَ لهُ : اِرْجِعْ مَعَنا نصْرِفْ لَكَ شَيْئًا مِن بَيْت المَالِ !

فرجع معهما . فرتبا له شيئاً كل عام يعيش منه هو وعياله .. !!

— ١٢ —

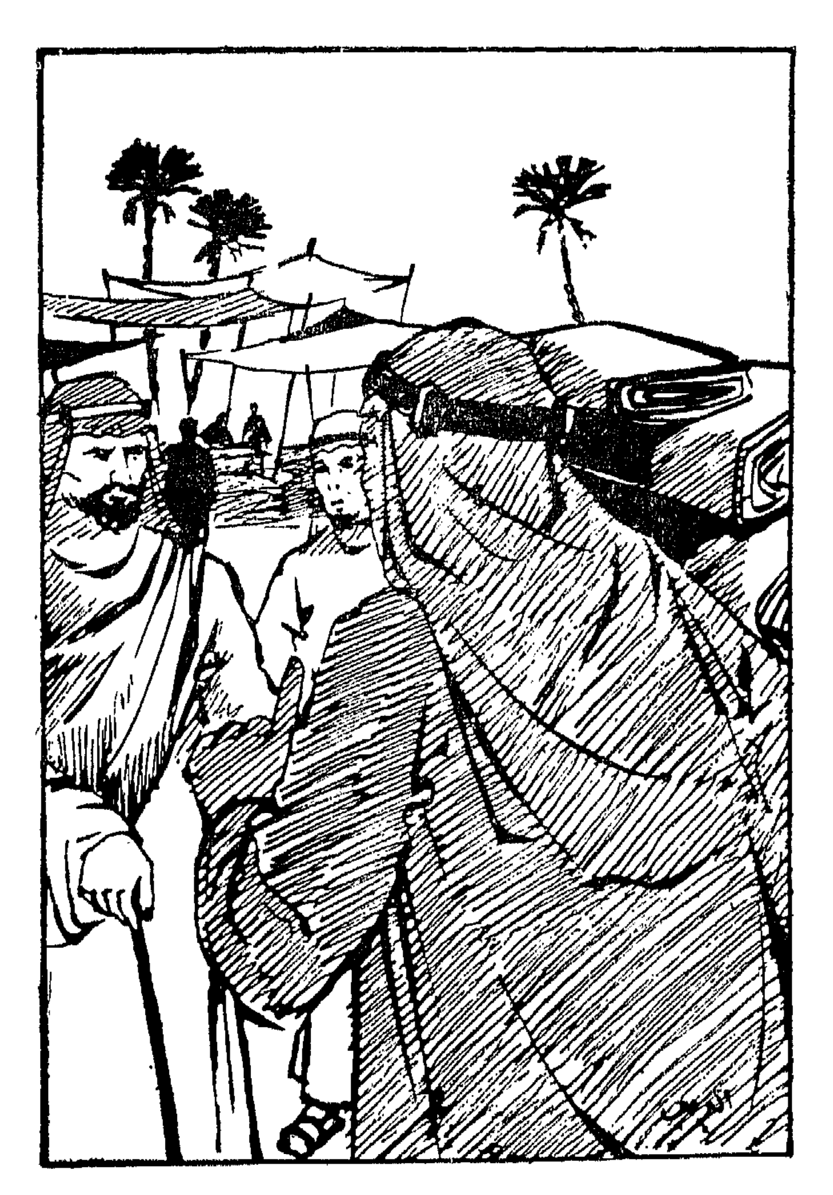
لما مات رسول الله صلعم ، ارتد كثير من القبائل العربية عن دين الإسلام وعادوا إلى عبادة الأصنام ، كما امتنعوا عن دفع أموال الزكاة والصدقات .

وجاء أحد الولاة إلى أبي بكر وقال له :

يا خليفة المسلمين ! ! امتنعت الأعراب عن دفع الزكاة والصدقات ، وارتدوا عن دين الإسلام لما علموا بموت الرسول ! !

قال أبو بكر : كيف يرتدون وقد أسلموا ؟

قال الوالى: كانوا قد أسلموا بألسنتهم لا بقلوبهم ..



وَمِنْ أَيْنَ أُطْعِمُ عِيَالِي ؟

فلمَّا مَاتَ النَّبيُّ قَالُوا : لِمَاذا نتَّبِعُ دِينَ نَبيٍّ مَاتَ ؟ وكَيْفَ يَمُوتُ نبيُّكُمْ وهُوَ حَبِيبُ اللهِ كمَا تقولُونَ؟

قُلْتُ لَهُمْ : إِنَّ النَّبِيَّ بَشَرٌ مِثلُنَا ، والأَنْبِيَاءُ جَمِيعاً قَدْ مَاتُوا مِنْ قَبْلِهِ !

وحِينَ كَانَ الْعَامِلُ يُنْبِئُ خَلِيفَةَ المُسْلِمِينَ بِهَذِهِ الأَخْبار . . حضَرَ عَامِلٌ ثَانٍ وثَالِثٌ ورَابِعٌ فأَخْبَرُوا أَبَا بكْرٍ بارْتِدَادِ الأَعْرَابِ عَنِ الإِسْلامِ ، وامْتِنَاعِهِمْ عَنْ دَفْعِ أَمْوَالِ الزَّكَاةِ والصَّدَقاتِ !!

ثُمَّ حضَرَ عَامِلُ الْيمَامَةِ فقَالَ لِأَبِي بكْرٍ :

ظهَرَ فِي قَبِيلَةِ بَنِي تَمِيمٍ رَجُلٌ كَذَّابٌ اسْمُهُ «مُسَيْلِمَةُ» ادَّعَى النُّبُوَّةَ ، وحَرَّضَ أَعْرَابَ الْقبَائِلِ عَلَى الثَّوْرَةِ وإِعْلانِ الحَرْبِ عَلَى المُسْلِمِينَ .

اسْتَمَعَ أَبُو بكْر إلى هَذِهِ الْأَخْبارِ السَّيِّئةِ ، فَحَزِنَ أَشَدَّ الحُزْنِ وصَاحَ :

مَا أَعْظَمَ المُصِيبةَ الَّتى نَزَلَتْ بالْإِسْلامِ بَعْدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ .. يَا لَضَيْعَةِ الْإِسْلَامِ بَعْدَكَ يَا رَسُولَ اللهِ ..!

* * *

جَمَعَ أَبُو بكْرٍ أَصْحَابَهُ واسْتَشَارَهُمْ : ماذَا نَصْنَعُ والْإِسْلامُ مُهَدَّدٌ بالضَّيَاعِ ؟!

قَالَ أَصْحَابُهُ :

إِنَّ الْأَعْرَابَ قَوْمٌ أَجْلَافٌ ، وعِنْدَهُمْ كَثيرٌ مِنَ الرِّجالِ والْمَالِ والسِّلاحِ ..! فَخَيْرٌ لَنا أَنْ نأْخُذَهُمْ باللِّينِ والرِّفْقِ ، فَنَكْسِبَهُمْ قَبيلَةً بعْدَ قَبيلَةٍ !! ولا نُعْلِنَ الحَرْبَ عَلَيْهِمْ !!

قَالَ أَبُو بكْرٍ :

أَمَّا أَنَا فَأُخَالِفُكُمْ فِى رَأْيِكُمْ !! فَوَاللهِ الَّذِى لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ .. لَأُقَاتِلَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُرْتَدِّين حَتَّى يُقْتَلُوا جَمِيعًا ، أَوْ يَعُودُوا إِلَى الْإِسْلَامِ ..!

وَبَيْنَمَا أَبُو بَكْرٍ يَتَحَدَّثُ مَع أَصْحَابِهِ ، جَاءَتْهُمُ الْأَنْبَاءُ أَنَّ الْأَعْرَابَ أَرْسَلُوا جُيُوشًا لِمُحَاصَرَةِ الْمَدِينَةِ !!

لَمْ يَنَمْ أَبُو بَكْرٍ هَذِهِ اللَّيْلَةَ .. وأَمَرَ بِإِعْدَادِ الْجُيُوشِ ، وَقَادَهَا بِنَفْسِهِ ، وخَرَجَ لِمُلاقَاةِ الْمُرْتَدِّين !!

وقَالَ قَوْمٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لِأَبِي بَكْرٍ :

لاَ تُعَرِّضْ نَفْسَكَ لِلْخَطَرِ ، فَإِنَّكَ إِنْ أُصِبْتَ ضَاعَ الْإِسْلَامُ والْمُسْلِمُون !!

وأَقْبَلَ عَلَيْهِ عَلِيُّ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ وقَالَ لَهُ :

يا خَلِيفَةَ الْمُسْلِمِينَ !! أَغْمِدْ سَيْفَكَ ، وَارْجِعْ إِلَى

المَدِينةِ ، فَوَاللهِ لَئِنْ أُصِبْنا فِيكَ ، لاَ يكُونُ لِلإِسْلامِ بعْدَكَ نِظَامٌ أَبَدًا .

ولَكِنَّ أَبَا بكْرٍ أَبَى أَنْ يَرْجِعَ إِلى المَدِينةِ ، وخَاضَ عَمَارَ الحَرْبِ مَعَ المُسْلمِينَ ، حتَّى هُزِمَتْ جيُوشُ الأَعْدَاءِ ، وأَصْبَحَتِ المَدِينةُ آمِنةً بَعِيدةً عَنِ الأَخْطارِ !!

وبَعْدَ أَن فَرَغَ أَبُو بكْرٍ مِنْ هَزِيمَةِ الجُيُوشِ الَّتِى كانَتْ تُهَدِّدُ المَدِينةَ ، أَرْسَلَ أَحَدَ عَشَرَ جَيْشًا إِلى جَمِيعِ أَنْحاءِ الجَزِيرةِ العَرَبِيَّةِ ، فهَزَمَتِ المُرْتَدِّين وأَعادَتْ إِلى الإِسْلامِ عِزَّتَهُ ومَكانَتَهُ !!

ولَمَّا تَمَّتْ هَزِيمةُ المُرْتَدِّين ، وانْتصَرَ الإِسْلامُ بِفَضْلِ ثَبَاتِ أَبِي بكْرٍ وحِكْمَتِهِ ، أَقْبلَ علَيْهِ عُمَرُ بْنُ الخَطَّاب ، فقَبَّلَ رَأْسَهُ وقَالَ :

لَوْلاكَ يَا أَبَا بكْرٍ لَهلَكْنَا جَمِيعاً ! !

— ١٣ —

وَلمَّا مَرِضَ أَبُو بكْرٍ ، أَحْضَرَ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ ، وأَعْطَاهُ ورَقَةً وقَالَ لهُ اُكْتُبْ :

« هَذِه وصِيَّةُ أَبِي بكْرٍ إلى المُسْلمِينَ فى آخِرِ أَيَّامِه فى الدُّنْيَا ! ! أَمَّا بَعْدُ .. ثُمَّ أُغْمِى علَيْهِ .. فكَتَبَ عُثمَان مِنْ نَفْسِه : فإِنِّى جَعلْتُ عَلَيْكُمْ عُمَر بْنَ الخَطَّاب خَلِيفَةً فاسْمَعُوا لَهُ وأَطِيعُوهُ » .

فلَمَّا أَفاقَ قَالَ لِعُثْمانَ : اقْرَأْ ما كَتَبْتَ .!!

فقَرَأَ عُثْمَانُ مَا كَتَبَ .. فهَتَفَ أَبُو بكْرٍ :

بَارَكَ اللهُ فِيكَ يَا عُثْمانُ ..! كأَنَّكَ اطَّلَعْتَ عَلَى مَا فى قَلْبِى فكَتَبْتَ مَا فيهِ ..!

ثُمَّ طَلَبَ ابْنَتَهُ عائِشةَ وقالَ لها :

يَا ابْنَتِي : حكَمْتُ المُسْلِمِينَ ، فلَمْ آخُذْ مِنْهُمْ دِرْهَماً ، وأَكلْتُ مِنْ رَدِيءِ طَعَامِهِمْ ، ولَبِسْتُ مِنْ خَشِنِ ثِيَابِهِمْ ، ولَيْسَ عِنْدِي شَيْءٌ مِنْ مَالِهِمْ غَيْرُ ذَلِك الْعَبْدِ الحَبَشِيِّ ، وهَذا الجَمَلُ الَّذِي نَسْتَقِي علَيْهِ ، وهَذِه القَطِيفَةِ البَالِيَةِ الَّتِي أَفْرِشُهَا تَحْتِي : . فإِذَا مُتُّ فابْعَثِي بِها إِلى عُمَرَ .

ثُمَّ أَسْلَمَ الروحَ إِلى رَبِّهِ !

* * *

سلسلة أعلام المسلمين

القصة التاليـة

عمر بن الخطاب

رقم الايداع ٢٦٠٧/١٩٧٠